تنوع في وحدة الاداء وتقميش سطح اللوحة

لوحة رؤوس، وهي مكونة من ١٥ لوحة صغيرة

في صالة غاليري ايبروف دو آرتست التي تديرها السيدة آمال طرابلسي، علق الفنان العراقي المهندس معاذ الالوسي واحدا وستين لوحة، مشغولة بالاكريلك على القماشة فيما بعضها مشغول على الورق، وقد امتاز نتاجه الاخير بخواص استثنائية تجلت في تقميش سطح اللوحة بمزيج خشن من الاكريلك والرمال. اضافة الى استعماله اسلوب الاسترسال او التداعي التصويري في تكرار الايقاع الواحد. الأمر الذي حول معرضه برمته الى ايقاعات تتشابه في المضمون والتأليف، وتختلف في المفاهيم الشكلانية العامة للرؤيا.

ولكن بغض النظر عن اسلوبية التأليف التي اغنت هذا المعرض وقدمته كصياغة جادة لمفاهيم فنية يتعاطى معها فنان يعرف كيف يهندس النتائج النهائية لعمله، فإننا لا بد وان نناقش جانبا اساسيا آخر يتعلق في مسألتي تسطيح البورتريت، وتكرار موضوعاته الارتجالية ضمن حالة «المختلف المؤتلف» التي هي جوهر قناعة هذا الفنان الذي بدأ ينمي بداخله قدرا من الشفافية الصوفية الواعية. لكن صورة الوجه الانساني كموضوع مسيطر على مسطح العمل برمته تتطلب واحدا من اتجاهين، اولهما اتجاه تشريحي يمنح التفصيلات كامل قيمها الاساسية، ويركز الموضوع على بيّنة مفادها التنوع الخلقي للوجوه، وهذا الاتجاه الاكاديمي التصوير سوف يبدو قتلا متعمدا لأي مغامرة تعبيرية ابداعية يسعى اليها الفنان.. لذلك يذهب معاذ صوب اللغة الرمزية التعبيرية. البالغة الاشارة والحضور مختصرا الوجه وبوصفه موضوعا، ضمن قاعدة حضوره التحريضي او الاستفزازي للمتلقي، انه وجه حافل بثلاثية الحضور المعروف للوجه، اي العينان والأنف والفم، لكنه يلغي كل هذا التفصيل الحضوري لمصلحة ما تمنحه العملية التأثيرية عبر لعبة التصادم ما بين اللون والضوء على صعيد الاشارة والحركة فوق ملمس هذا الوجه.

ربما لهذا السبب التلويني بالذات استغرق في رسم وجوه البانتوميم - المسرحي الاشاري او المهرج الذي يصير وجهه قناعا. فقد كرر ماكياجا حيالاً لوجه يمتلك خواص كل الوجوه الكامنة وراء الماكياج. لكنه ايضا وفي الرؤوس الخمسة عشر التي رسم كلا منها مستقلا على مسطح صغير، ثم جمع اللوحات في مسطح واحد. سوف يستعمل ذات اللعبة السابقة في توزيع العناصر الاساسية بضربات لا توحي إلا بوجود العين والأنف والفم، ثم يأخذ حريته المطلقة في الضربات التلوينية الحارة. ذات الاثارة والتجريد دفعة واحدة. ليست العملية التأليفية هذه بعيدة عن العديد من الاتجاهات التعبيرية العربية التي سادت منذ ستينيات القرن العشرن حتى اواخره. فالفنان السوري الراحل فاتح المدرّس ربما يكون من اوائل الذين وصلوا في تأليف الوجه البشري الى حدود الاشارة التجريدية. بحيث تحولت العلاقة ما بين الأنف والعيينن الى نقطة تقاطع خطين احدهما افقي والآخر عمودي فصارا صليبا يوشم به الانسان الفلاح الكادح. اما بالنسبة الى وجوه المهرج والتي سبق ايضا واشتغل عليها العديد من التعبيريين الفرنسيين امثال «تاوا اوفو» فان الامتياز الذي سجله الألوسي هو فهمه الايحائي لما وراء القناع بحيث انك تستطيع ان تقرأ عبر تكرار الصورة حالات الحزن والصمت والفرح والاسترسال. قلنا ان معاذ الالوسي اطل عبر هذا المعرض كفنان تعبيري يستلهم من مخزون ذاكرته الموضوعات لكنه يصبغ الرموز من خزانة مشاهداته البصرية لفن المعاصرة، ومن افكاره المنظمة ضمن قاعدة تنظيم الفوضى التلويني في ايقاع متوازن لا يخلو من الافاضة الشرقية، والتي هي في الواقع اضافة (كونتراسية) تصادمية على مستوى الألوان الحارة والمباشرة احيانا.

ليس الموضوع هو الذي يكرس لوحة هذا الفنان كمدخل فني مقبول واستثنائي بعض الأحيان، بل التنوع ضمن خاصية اقتطاف الاجزاء الحيوية والفاعلة من الموضوع. ان بعضا من الموضوعات تصير موضوعا. لكنها تصير ايضا مجموعة من التداعيات ذات القابلية الفذة على التكرار والامتلاء. حتى عندما يرسم دراجة هوائية يسميها طوطحا. نراه يستعير قدرا من الشغف اللوني الطفولي الذي افهمه أنا بالذات كطفل بغدادي يذهب مغمورا بالنشوة والاندفاع لكي يستأجر «الباسكليت» لربع ساعة بعشرة فلوس.

فنان يسعى لأن يصنع مونتاجا جمالياً ما بين. ذاكرته اللونية، ووعيه التفسيري، ونظامه الاحترافي الهندسي الصارم. لذلك ينتج لوحة تعبيرية مشحونة بالشغف التجريدي التلويني ومتحركة برموزها الخصبة.. انه يرسم لأن فعل الرسم هو الامتياز الشخصي لعالم يحتوي على عشرات بل مئات الينابيع الدفينة للذاكرة الثقافية والمخزون التصويري.. وهو يلون لأنه يحتاج الى قدر هائل من العبث بالنظام البصري المقنن الذي ينضبط ضمنه وهو يؤدي مهمته المهنية.. لهذا فهو فنان له حضوره الجميل والجذاب بكل ما في الكلمتين من مباشرة ومديح.

عمران القيسي

بطاقة شخصة

● معاذ الالوسي

.من مواليد بغداد سنة ١٩٣٨.

.درس الهندسة المعمارية في انقرة عام ١٩٦١.

.والعمارة الاستوائية في لندن سنة ١٩٦٤.

.أقام العديد من المعارض الشخصية في كل من اثينا، بيروت، نيقوسيا، كما أقام معارض مشتركة في بغداد وليماسول.

.قيم في قبرص.

.له حضور هندسي مميز. وقد شارك في العديد من معارض الهندسة المعمارية.

.يعرض حاليا في بيروت ايبروف دو آرتست. وقد اطلق على معرضه اسم «الوطان» ومعناها الوجد والوهج.